ألا ترى أن المني يستقذر في الحس البشري على أن منه تكوين نوعه ومنه تخلقت أفاضل البشر . وكذلك المسك طيب في الحس البشري لملاءمة رائحته للشم وما هو إلا غدة من خارجات بعض أنواع الغزال قال تعالى (وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) .

وهذا تأصيل لكون عالم الحقائق غير خاضع لعالم الأوهام . وفي الحديث " لخلوف فم الصائم أطيب عند ا من ريح المسك " . وفيه " لا يكلم أحد في سبيل ا ؛ وا أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة ودمه يشخب اللون لون الدم والريح ريح المسك " .

ومعنى (فقعوا له ساجدين) اسقطوا له ساجدين وهذه الحال لإفادة نوع الوقوع وهو الوقوع لقصد التعظيم . كقوله تعالى (وخروا له سجدا) . وهذا تمثيل لتعظيم يناسب أحوال الملائكة وأشكالهم تقديرا لبديع الصنع والصلاحية لمختلف الأحوال الدال على تمام علم ا وعظيم قدرته .

وأمر الملائكة بالسجود لا ينافي تحريم بالسجود في الإسلام لغير ا من وجوه : أحدهما : أن ذلك المنع لسد ذريعة الإشراك والملائكة معصومون من تطرق ذلك إليهم .

وثانيها : أن شريعة الإسلام امتازت بنهاية مبالغ الحق والصلاح فجاءت بما لم تجئ به الشرائع السالفة لأن ا أراد بلوغ أتباعها أوج الكمال في المدارك ولم يكن السجود من قبل محظورا فقد سجد يعقوب وأبناؤه ليوسف " عليهم السلام " وكانوا أهل إيمان .

وثالثها : أن هذا إخبار عن أحوال العالم العلوي ولا تقاس أحكامه على تكاليف عالم الدنيا .

وقوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) عنوان على طاعة الملائكة .

و (كلهم أجمعون) تأكيد على تأكيد أي لم يتخلف عن السجود أحد منهم .

وقوله (إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) تقدم القول على نظيره في سورة البقرة وسورة الأعراف .

وقوله هنا (أن يكون مع الساجدين) بيان لقوله في سورة البقرة (واستكبر) لأنه أبى أن يسجد وأن يساوي الملائكة في الرضى بالسجود . فدل هذا على أنه عصى وأنه ترفع عن متابعة غيره .

وجملة (ما لك ألا تكون مع الساجدين) استفهام توبيخ . ومعناه أي شيء ثبت لك أي متمكنا منك لأن اللام تفيد الملك . و (ألا تكون) معمول لحرف جر محذوف تقديره (في) . وحذف حرف

الجر مطرد مع (أن) . وحرف " أن " يفيد المصدرية . فالتقدير في انتفاء كونك من الساجدين .

وقوله (لم أكن لأسجد) جحود . وقد تقدم أنه أشد في النفي من (لا أسجد) في قوله تعالى (ما يكون لي أن أقول) في آخر العقود .

وقوله A E) لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) تأييد لإبايته السجود من المخلوق بأن السجود من ذلك الطين حقير ذميم لا يستأهل السجود . وهذا ضلال نشأ عن تحكيم الأوهام بإعطاء الشيء حكم وقعه في الحاسة الوهمية دون وقعه في الحاسة العقلية وإعطاء حكم ما منه التكوين للشيء الكائن . فشتان بين ذكر ذلك في قوله تعالى للملائكة (إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) وبين مقصد الشيطان من حكاية ذلك في تعليل امتناعه من السجود للمخلوق منه بإعادة ا الألفاظ التي وصف بها الملائكة . وزاد فقال ما حكي عنه في سورة ص إذ قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ولم يحك عنه هنا .

وبمجموع ما حكي عنه هنا وهناك كان إبليس مصرحا بتخطئة الخالق كافرا بصفاته فاستحق الطرد من عالم القدس . وقد بيناه في سورة ص .

وعطفت جملة أمره بالخروج بالفاء لأن ذلك الأمر تفرع على جوابه المنبئ عن كفره وعدم تأهله للبقاء في السماوات .

والفاء في (فإنك رجيم) دالة على سبب إخراجه من السماوات . و " إن " مؤذنة بالتعليل . وذلك إيماء إلى سبب إخراجه من عوالم القدس وهو ما يقتضيه وصفه بالرجيم من تلوث الطوية وخبث النفس أي حيث ظهر هذا فيك فقد خبثت نفسك خبثا لا يرجى بعده صلاح فلا تبقى في عالم القدس والنزاهة .

والرجيم : المطرود . وهو كناية عن الحقارة . وتقدم في أول هذه السورة (وحفظناها من كل شيطان رجيم) .

وضمير (منها) عائد إلى السماوات وإن لم تذكر لدلالة ذكر الملائكة عليها . وقيل : إلى الجنة . وقد اختلف علماؤنا في أنها موجودة .

واللعنة : السب بالطرد . و (على) مستعملة في الاستعلاء المجازي ؛ وهو تمكن اللعنة والشتم منه حتى كأنه يقع فوقه